الإسلامية وسؤال النقد الأدبي[1]

Islamization and the question of Literary Criticism

Islamisasi dan Persoalan Terhadap Kritikan Sastera

بشرى عبد المجيد تاكفراست*

ملخص البحث

كثيرة هي الخطابات النظرية والنقدية في العالم العربي، المهتمة بشأن النقد العربي قديمه وحديثه، وهذه الكثرة لا تدل بالضرورة على وعي واستقامة لمقاربة النص النقدي بتلاوينه المختلفة طالما أن هذه الطروحات تذهب إلى إضفاء مصداقية المنهج في الدراسة والتحليل أكثر مما تذهب إلى مقاربة النص النقدي بشكل لا يبدوفيه ازدياد وثراء وعمق، مما يجعل المتلقي يستقبله كعلامة دالة لمساءلة الظاهرة. وتحاول هذه الدراسة تأطير النقد الإسلامي ومعاييره المستنبطة من نظرية الأدب الإسلامي، ودوره في مواكبة العملية الإبداعية لضبط إيقاعها وفق نظرية أدبية معيارية إسلامية واضحة المعالم. ومقاربة لأسلمة النقد العربي والتأصيل الإسلامي للمقاييس النقدية التي تهدف إلى تأثيث سياق إعادة صياغة وبناء المعطيات المعرفية الإنسانية من منظور إسلامي. ومحاولة تجاوز المنقود على مستوى الرؤية والمنهج لإنجاح عملية القراءة التي ينطوي فعلها على تأويل المقروء.

الكلمات المفتاحية: النقد الإسلامي– النقد الأدبي– القيم الإسلامية– المعيارية– المعوقات.

* تخصص النقد الأدبي– كلية اللغة العربية جامعة القرويين– مراكش– المملكة المغربية.

Abstract:
Many of theoretical and critical discourses in the Arab world that focus on Arabic literary criticism be it traditional or modern, do not necessarily indicate an awareness and correctness in approaching critical text that come in different shades. This was possible as long as these discourses seem adhere to the integrity of method although they are surficial in their discussion. As a result, reader would understand that there are dealing with the some issues of a certain phenomenon. This study aims at putting the framework of Islamic criticism and defining its standards derived from Islamic literature. The role of Islamic criticism in keeping up with the creative process to ensure its compliance in accordance to a clear Islamic prescriptive literary theory. The approach to Islamacize Arabic literary criticism and the effort to establish its rooting in Islam is a part of the efforts to rearrange human knowledge in accordance to the Islamic point of view and to broaden the interpretation of the text itself.

Keywords: Islamic Criticism – Literary Criticism – Islamic values – Prescriptive – Challenges.

Abstrak:
Teori wacana kritis sangat banyak dalam dunia Arab dan ia mengambil berat tentang kritikan sastera lama dan baru. Namun kebanyakannya tidak menunjukkan kesedaran yang konsisten kerana dalam usaha mendekatkan teks kritikan dengan demensi-demensi yang berbagai-bagai selagi cadangan-cadangan yang dilontar ini hanya tertumpu kepada methodologi kajian dan analisis lebih banyak daripada mendekatkan teks kritikan yang mana ia tidak membawa kepada penambahan dan kekayaan yang mana ia menjadikan penerima mengambilnya sebagai tanda yang menunjukkan permasalahan luaran. Kajian ini cuba meletakkan satu garis panduan dalam wacana kritis yang diambil berasaskan teori sastera islam berserta peranannya dalam mengikuti arus inovasi dan kreativiti bagi

memastikan ia masih mengikuti piawaian yang digariskan islam. Hal ini bertujuan untuk menghasilkan semula fakta-fakta yang berkaitan dgn kognisi seperti proses pembelajaran, pemahaman dan pemerolehan pengetahuan oleh manusia dari perspektif Islam dan cuba memberikan pandangan dari sudut methodologi bagi menjayakan proses pembacaan yang mengandungi banyak tafsiran.

Kata kunci: kritikan islam – kritikan sastera – nilai-nilai islam – piawaian – halangan.

تمهيد

لما طرحت موضوع (الإسلامية وسؤال النقد الأدبي) تضاربت في ذهني عدة أسئلة منها:

- هل استطاع النقد الإسلامي أن يتجاوز الحدود التي رسمت له عند نشأته في الدراسات النقدية الإسلامية الحديثة والمعاصرة؟
- هل الفكر الإسلامي النقدي الحديث والمعاصر استطاع أن يؤطر الإبداع في بعد عن المعايير الموروثة عن مرحلة صدر الإسلام حتى يساير النظريات النقدية الحديثة منهجا وقراءة ودراسة وتأويلا؟
- إذا كنا نؤمن أن النقد هو لغة على لغة، إذ ما تتركه الممارسة النقدية هو: لغة، وما تتوجه إليه وتقصده وتجعله موضوعا لها هو: لغة، فهل لا زال دور الناقد العربي الإسلامي كامن في الإصلاح والتوعية والتصحيح لكل انحراف فكري أو سقوط أخلاقي، وتقويم أي إخلال بشروط الفن واللغة بوصفها وعاء الأدب الرفيع؟!

تعتبر مرحلة صدر الإسلام في تاريخ النقد الأدبي العربي مرحلة جديدة ومميزة، فظهور الدولة الإسلامية بنظرياتها الجديدة سيحدث تحولا نوعيا يساهم في إعادة بناء هيكلة الواقع الاجتماعي والاقتصادي والقانون الإداري، وبالتالي الثقافي الذي سيعرف تطورا جديدا

ملائما لهذا التحول على مستوى الإنتاج الشعري وعلى مستوى النقد الأدبي، فعلى المستوى الأول نلاحظ أن الشعر تحول مضمونه إلى الدفاع عن الدين الجديد، كما تحول شكله لتأثره بعوامل عدة منها:

١- استقراره بالمدينة وتأثره بمظاهرها، مما أدى إلى ليونة اللغة حيث أصبحت تقترب من العامية في بساطتها.

٢- ملاحقته للأحداث الطارئة لإبراز أهمية الإسلام وخطورته في ساحة المعركة.

٣- تأثره بأسلوب القرآن الكريم.

٤- تجريب الانتقال بالمبادئ الإسلامية إلى مستوى الصياغة الشعرية، وهذا التحول هو الذي عبر عنه مجموعة من الباحثين القدامى والمحدثين،[٢] بظاهرة (ضعف الشعر)، بينما الاستقراء التاريخي لحركة الشعر القديم، تنبئ عن بداية تأسيس نمط شعري جديد، يلائم الدولة الإسلامية الجديدة وتصوراتها وتوجهاتها، ثم إن الشعر ما كان يوما من الأيام مكافئا للإسلام حتى يكون ندا له، فإشكالية الإسلام والشعر عاشت في أذهان الذين خلقوها لأن الإسلام لم يقابل الشعر بالجفاء والكراهية فهو أرفع وأسمى من ذلك، وحتى الآيات التي تذكر الشعر والشعراء[٣] لا تكشف جميعها عن أي أثر لخصومة الإسلام للفن الشعري، لأن الإسلام في حاجة إلى دفاع قوي بالفن والسلاح.

ثم إن مستوى الشعر لم يكن طفرة إذا انحدر ونزل، لأن هذا الدين كان انقلابا كبيرا في حياة الأمة العربية، فوجد الشاعر نفسه محاصرا بقوافيه المحدودة التي ضاقت عن ضم هذا الخصب والثراء، فكان عليه أن يجدد أدواته ويعيد بناء قوالبه حتى يتوافق والمضامين الجديدة التي جاء بها هذا الدين الجديد، باعتباره ثورة محولة شملت جميع الأصعدة.

وعلى المستوى الثاني وهو مستوى النقد الأدبي: محور دراستنا فقد أصبحت الدولة الإسلامية في حاجة إلى النقد الأدبي للتحكم في القطاع الأدبي والشعر خاصة فتوجهه حسب معطيات النظرية الإسلامية الجديدة، غير أن هذه الحاجة لم تقرن بظهور تصورات

نقدية مدققة بقدر ما عبرت عن نفسها في إطار مجموعة من الأحكام العامة، تحكمها المبادئ الإسلامية المغلفة بأحكام ذوقية ورثت عن المرحلة السابقة.[٤]

وأهم الخلاصات التي يمكن تسجيلها عن هذه المرحلة:

١. أن هذه المرحلة قد ظهرت فيها الحاجة إلى النقد الأدبي لتتحكم في قطاع الشعر وتوجهه وفق النظرية الإسلامية الجديدة التي تأسست الدولة الإسلامية تحت ضوئها.

٢. وبما أن جزئيات النقد لم تكن متوفرة بتوفر الحاجة، فإن الأفكار النقدية لهذه المرحلة كانت تتراوح بين:

- الاحتكام إلى القيم الإسلامية الجديدة وتقويم الشعر انطلاقا منها.
- استمرار الأحكام الذوقية الانطباعية التأثرية.

٣. أن هذه الأفكار النقدية إن اتسمت بنوع من العمق والشمول فإنها طبعت بالإيجاز وعدم توضيح الأسباب والعلل التي أدت إلى إصدار الحكم.

٤. إن الأفكار النقدية لهذه المرحلة اهتمت بالمضمون أكثر من اهتمامها بالشكل، وهذا له ما يبرره في طبيعة القيم الإسلامية الجديدة، التي أصبح المسلمون يحاكمون الشعر والشعراء تحت ضوئها، سواء كانوا معاصرين للإسلام أو سابقين عنه.

٥. أن نقد هذه المرحلة تنوعت رجاله فلم يبق مقتصرا على الشعراء وحدهم.

وها قد مرت على انتشار الإسلام أربعة عشر قرنا وزيادة، فهل بقي النقد رسالة تعليمية وتوجيهية ملتزمة بالتصور الإسلامي الحارس لقيم المجتمع المسلم؟! وهل بقي النقد يحاكم الظواهر الأدبية الحديثة بالمقاييس الإسلامية التي نجد شذاها في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ونتذوق طعمها الطيب في حضارة الأجداد؟ !وهل لا زال المعيار الأخلاقي الإسلامي أساس الحكم على جودة أو رداءة النص الإبداعي؟!

إذا صح ما سبق فأين هو معيار الفنية الذي أساسه الذوق الناضج في العملية الإبداعية؟

إن اعتبار النص الشعري تشكيل لغوي جميل يولد الجمال من اللغة، وأن وظيفة النقد تكمن في الكشف عن أسرار ذلك الجمال، يجعل من العقيدة مقياسا خارجا عن تقويم جمال الشعر إنتاجا ونقدا. وإن انطلقنا من أن الشعر حين يتعامل مع اللغة فإنه يمرر عبرها سلسلة من القيم، وأن وظيفته لا تقتصر على إنتاج الجمال الخالص،وإنما يتجاوز ذلك إلى بث قيم يسعى إلى ترسيخها في وجدان المتلقي وتفكيره عبر صيغ تعبيرية جميلة تكرس ذلك المسعى، إذ ذاك تصبح العقيدة جزءا أصيلا من معايير قبول الشعر أو رفضه. إن العقيدة المتحدث عنها هنا قد لا تكون دائما عقيدة دينية، فقد تكون فكرية أو اجتماعية أو إنسانية، وقد تكون هذه الأخيرة مجتمعة أو منفصلة ممتزجة بالعقيدة الدينية، ومن هنا تطرح قضية الالتزام من بابها الواسع. إن الشعر الذي لا يتبنى هدفا إنسانيا نبيلا لا قيمة له،وإن نقد الشعر الذي يتوقف عند حدود (التحليل) لا يؤدي وظيفته في التوجيه والتقويم، مهما كانت نوعية النظرية أو المنهج الذي يتبناهما هذا التحليل: سواء بإرجاع الشعر إلى سيرة الشاعر الذاتية، أو بإرجاعه إلى وضعيته الاجتماعية وتعبيره عن رؤية فئته، أو طبقية للمجتمع والحياة، أو بإرجاعه إلى بنيته النفسية الواعية أو غير الواعية، الفردية أو الجماعية، أو بإرجاعه إلى مكوناته الداخلية: الصوتية والمعجمية والتركيبة والدلالية، أو بتفكيكه إلى بنيات موضوعاتية، أو بدراسة مظاهر التلقي الذهنية أو النفسية أو غيرها من مناهج التحليل الحديثة ونظرياته، كلها تبقى مهمومة بهاجس التحليل المؤدي إلى (الفهم)، الرامي إلى مقاربة النص المقروء، والذي يسعى إلى أن يكون علميا عن طريق الاستئناس بمناهج العلوم الإنسانية المختلفة، أو بإنتاج (علم للشعر) مستمد من بنياته ومكوناته الداخلية، ولكن التحليل المؤدي إلى الفهم، بالرغم من أهميته وخصوبته في دراسة الظاهرة الأدبية عموما والكشف عن أبعادها المختلفة، يبقى محصورا في حدود ملاحقة الأدب القائم، ويفتقر إلى التوجه نحو الفعل في الإنسان

والمجتمع، وهما المجال الرئيس لحركة الأدب وضمنه الشعر إنتاجا وتلقيا، وإلى السعي نحو إنتاج وجدان وتفكير جماعيين يساهمان في حركة المجتمع والدفع به نحو التغيير والتطور. قد يتبدى هذا الخطاب تقليديا، ربما متجاوزا، ولكن أحكام التقليد والتجاوز لا قيمة لها إذا تم الانطلاق من أن القيم النقدية نسبية، وأنها يجب أن تكون متساوقة مع الواقع الاجتماعي في لحظة تاريخية معينة وفي مناخ حضاري معين. إن النقد الأدبي الذي لا يساوق وضعا اجتماعيا يبقى عبارة عن عمل فكري منفصل عن التربة التي من المفروض أن يساهم في التأثير فيها.

لاحظ انك بمجرد الخروج من الحقبة الإسلامية ستكتشف اختفاء لمعياري: العقيدة والمجتمع وظهور معيار الذوق الذي بحث له عن تبريرات بواسطة علوم وخبرات متنوعة، فيصبح عماد النقد الأدبي هو الذوق الفني ، فبالذوق تفهم النصوص ويتم الإحساس بما فيها من عناصر جمالية، فطالما أتعب الإبداع ناقديه وتفاوت النقاد في الحكم عليه، ولكن الذوق الفني الناضج يساعدك على أن تحصي زفرات المبدعين إذا تصاعدت، وخفقان قلوبهم إذا اهتاجت، وحركات أذهانهم إذا سبحت في الملكوت. ولم يتورع كثير من النقاد- إلا في استثناءات نادرة- عن القول بأن النقد لا علاقة له بالأخلاق والدين لأن النزعة التي سيطرت على نقد الشعر عند العرب هي نزعة (الفن للفن).[٥]

وإذا استعرضنا النماذج النقدية للحقب المتوالية للمرحلة الإسلامية (مرحلة بني أمية / مرحلة بني العباس) ووقفنا على المجالات التي كان يتطارح فيها الشعر ويتدارس: مجال النحاة، مجال الشعراء، مجال المتأدبين،[٦] ومن خلال تأمل النقد الذي تبلور في هذه المجالات عبر أقوال أصحابه ومواقفهم نسجل الخلاصات الآتية:

١- اختفاء البعد الأخلاقي العقدي في التعامل مع الشعر والشعراء، حيث أصبح الهاجس السياسي والإحساس الفني معيارين يستحسن الشعر أو يستهجن الشعر على أساسهما.

٢- رجوع الشعر الجاهلي بثقله إلى الساحة الشعرية، حيث أصبح الخلفية الفنية التي يصدر عنها الشعراء في إنتاجاتهم، وإليها يحتكم المهتمون بالشعر في النقد والمقارنة.

٣- تنوع مجال الاهتمام بالظاهرة الشعرية حيث تم التمييز فيها بين لحظة الإنتاج أي زمن إنتاج النص، ولحظة الإنتاج نفسه، وتم الحديث عن معاناة الشعراء، والحديث عن الشاعرية بين التلقائية والإرادة، وعن اختلاف طبع الشعراء الذي يؤهلهم للإبداع في غرض معين دون غيره، وعن علاقة الشعر بسلوك الشاعر، وعن اقتدار الشاعر على المعاني، وعن اختلال القصيدة وانتظامها. وقد ساهم شعراء الحقبة الأموية بخبرتهم في إنتاج شعر من هذا التنوع، وساهموا فيه مع غيرهم انطلاقا من الثقافة الشعرية المتاحة.

٤- إن الانتقادات النحوية واللغوية التي تقع على هامش النقد الأدبي لا نستطيع قبولها لأنها ستحول النقد عن وظيفته الكامنة في تقدير جمالية القول إلى تصحيح الأخطاء، فيصبح كل من صحح خطأ ناقدا، وكل نص خال من الأخطاء يعتبر خارج دائرة النقد، وعليه فالشاعر العالم أشعر من الشاعر غير العالم، في حين سجل التاريخ أسماء حملتها بطون الكتب ذاع صيتها في العلوم ولم يكن لها نصيب في الشعر، ولنأخذ كمثال: العلماء الرواة في القرن الثاني الهجري من أمثال خلف الأحمر الذي لم يتبوأ مكانة مرموقة بين الشعراء بالرغم من أنه أخضع شعره لعلمه بالنحو وباللغة. وإذا رجعت إلى الأخطاء التي سجلت على الشعراء بالرغم من كثرتها وفظاعتها فإنها لم تسئ إلى قيمتهم الشعرية ولم تقلل من موقعهم بين معاصريهم من الشعراء.

إذا صح ما سبق فلن يعود مجديا أن نقول: إن النقد الإسلامي وسيلة يلجأ إليها لتقويم الأدب والفن وجعلهما في خدمة الرسالة الإلهية وأداة لتقويم السلوك الإسلامي وفق التصور الإسلامي، بل النقد الإسلامي هو نقد أدبي يخاطب الجانب الجمالي، يتحلى بصيغة

منهجية إسلامية واضحة في مقاربة النصوص الإبداعية، ويقف على عتبة فنية الإبداع وسلامة اللغة دون أن يحجر على الفن ويسلبه شيئا من خصوصياته الفنية واللغوية ويمارس عليه دور الرقابة الإصلاحية والتوعوية حتى يكون نقدا مكتمل المناهج والآليات والمقاصد. يحمل هما لغويا، وهما فنيا ليعكس البعد الجمالي والبعد الوظيفي والبعد المرجعي القائم على التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، حتى يتحول الخطاب النقدي من طور الإبداع إلى طور التأثير، ومن إقليمية ضيقة ونظرات عرقية إلى نقد إسلامي إنساني عالمي، يعكس مأساة الآخر في الذاكرة الجماعية، ويخرج النقد الإسلامي المعاصر عن ما وقع فيه من مزالق ومعوقات، وذلك لأسباب منها:

- الضعف المنهجي والفني الذي يعانيه النقد الإسلامي المعاصر في تقديم ممارساته النقدية.
- عدم الاستفادة من التغيرات الحاصلة في البنية النقدية العالمية منهجا ومادة.
- انشغال نقاد الأدب الإسلامي المعاصر بالنصح والإرشاد في تقديم إنتاجاتهم أكثر من اهتمامهم بتقديم النتاجات الأدبية والنقدية بصورة جمالية فنية.
- انحصار الأدب الإسلامي بين منابر العبادة وألسنة الدعاء مما ينم عن عدم الاختصاص وموضعة الممارسات النقدية خارج إطار النقد الأدبي.

وهذا لا ينفي وجود كتابات رائدة استطاعت أن تدفع بعجلة النقد الإسلامي المعاصر نحو تحقيق المكاسب والإنجازات.[٧]

وليس الناقد الإسلامي في استثناء عن النقد الإسلامي ، فهو يبحث عن مكمن الخطأ والصواب في الإنتاجات الأدبية، ويحكم لها أو عليها انطلاقا من مقياس الجودة والرداءة. فهو ناقد عربي تهزه الكلمة الطيبة وتزعزعه الكلمة الخبيثة، زاده في ذلك عمق ثقافته وسعة اطلاعه ورصانة لغته ومتانة أسلوبه في مساءلة النصوص والتفاعل معها، فيعطي نصا على نص، وإبداعا رصينا ومتنا متكاملا يساير أحدث الدراسات النقدية منهجا وأسلوبا. لا

يرفض ماضيه ولا يتنكر لحاضره، يتسم بالمسؤولية المعرفية والثقافية التي يستكشف تحت ضوئها الأسس الفكرية التي نهض عليها هذا النص أو ذاك، ولا يجعل من نفسه ظاهرة تطابق النسخ، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يوصي أصحابه بالتنوع والفردية، وذلك داخل في إطار مشروعه الحضاري المستقبلي الرامي إلى إقامة حضارته المتوحدة على قاعدة تنوع النماذج الإنسانية حتى لا يتحول المجتمع الإسلامي إلى نسخ طبق الأصل، صور متشابهة يتم إحياءها عند الحاجة.

وتبقى فاعلية الحوار مع أي نص كيف ما كان نوعه بداية أولية لحوارات نقدية لا تنتهي أسئلتها، في ظل المعطيات المعرفية المتاحة وطريقة تقديمها للمتلقي، لتجعل منها موضوعا يمارس من خلاله الإبداع سلطته، ومسؤوليته في مشروعية النص خارج سلطة الأنا. وحتى لا تختلف الخطا التي يتم تبنيها عن الخطى التي يراد تحقيق الهوية تحت ظلها، فهل من مدّكر؟!

هوامش البحث:

[١] شاركت بهذه المداخلة في مؤتمر:"إسلامية الدراسات اللغوية والأدبية وتطبيقاتها" الذي نظمته الجامعة الإسلامية العالمية/كلية معارف الوحي والدراسات الإسلامية / قسم اللغة العربية وآدابها / بكوالالمبور دولة ماليزيا ، وذلك بتاريخ ٢١-٢٢-٢٣- ديسمبر ٢٠٠٩.

[٢] أمثال: الأصمعي ابن سلام الجمحي، وابن خلدون، وزكي مبارك، وأحمد حسن الزيات، ويحيى الجبوري.

[٣] الأنبياء الآية ٥، يس الآية ٥٩، الصافات الآية ٣٦، الطور ٣٠، الحاقة ٦٩، الشعراء ٢٢٤-٢٢٧.

[٤] ومن النماذج النقدية التي ورثت عن هذه الحقبة نسجل ما يأتي:

* **موقف القرآن الكريم من الشعر**: اهتم الباحثون بكل النصوص القرآنية التي وردت فيها لفظة شعر وشاعر، منها قوله تعالى: "والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون". وقوله: "ما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين". وأيضا: "ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون". وقال أيضا: "بل قالوا

أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون". وقال كذلك: "أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون". هذه هي الآيات التي ذكر فيها لفظ شعر وشاعر في القرآن.

من الواضح أن الآية الأولى تذم نمطا خاصا من الشعراء، وتستثني من هذا الذم طائفة أخرى، ويرى الزمخشري في "الكشاف" أن الذم موجه إلى الشعراء الذين يستخدمون الشعر وسيلة للهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب، والمبالغة في مدح ما لا يستحق المدح. وبالإجمال فإنه موجه نحو الشعراء الذين لا يضعون القيم الإسلامية نصب أعينهم. وأن الاستثناء موجه إلى الشعراء الذين دافعوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم بشعرهم. ولنا قراءة أخرى لهذه الآية وهي قراءة أدبية نقدية، فنقول إن الآية تتضمن تصورا متكاملا عن هيكل القصيدة الشعرية، فهي تعطينا تصورا عن العناصر الثلاث المكونة لبنية للقصيدة الجاهلية: فهي تشمل موقفا نقديا يستهدف القصيدة الجاهلية في شكلها ومضمونها فقوله تعالى: "والشعراء يتبعهم الغاوون"، يتناول المقدمة الغزلية وما تتركه في الإنسان من نوازع الغواية والانحراف، وقوله تعالى: "في كل واد يهيمون" يتناول بالنقد الوقوف على الأطلال ووصف الرحلة والراحلة. وقوله تعالى: "يقولون ما لا يفعلون" يتناول الأغراض الرئيسية للقصيدة الجاهلية من فخر ومدح وهجاء وغيرها. وقوله تعالى: "إلا الذين آمنوا" يتناول بالنقد الشعراء المشركين أو الجاهلين، الذين تتناقض أشعارهم مع الدين الجديد، بينما الشعراء المسلمون ولو أنهم نظموا في نفس الأغراض وعلى نفس الشكل فإنهم مستثنون من الآية،وبذلك تكون الآية قد تناولت الحديث عن:

- التركيب الثلاثي للقصيدة الجاهلية.
- القيم الجاهلية المناقضة لمبادئ الإسلام.
- استثناء الشعراء الإسلاميين ولو كتبوا في نفس الأغراض.[٤]

أما الآية الثانية فينبغي أن تفهم في إطار جزئها الثاني. كما يجب أن تفهم أيضا في إطار الآيات التي تنقي عن الرسول صلى الله عليه وسلم الشعر والسحر والكهانة، وعدم تعليم الشعر للرسول صلى الله عليه وسلم ليس تحقيرا للشعر ولا نهيا عن تعلمه من قبل المسلمين، بل إثباتا لإعجاز القرآن، ويبين ذلك الأمر موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر. وعليه فالقرآن لم يكن صريحا في تحديد موقفه من الشعر. فلا هو بقابل ولا برافض للشعر، مما يؤكد أن الإسلام لم يتخذ موقفا عدائيا من الشعر.

ننتقل إلى موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر والشعراء، فنفى الإسلام عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون شاعرا، لا يتعرض مع كونه كان ملما به ويتذوقه، فهو عربي يعيش في المجتمع العربي يعتبر الشعر جزءا من كيانه النفسي والثقافي، ويتضح ذلك من خلال موقفين للرسول صلى الله عليه وسلم مختلفين:

١ – **موقف الرفض**: ويتجلى في رفضه للشعراء الذين تتعارض أفكارهم مع الدعوة الإسلامية. قال عليه السلام عن امرئ القيس: "ذلك رجل مذكور في الدنيا، شريف فيها منسي في الآخرة خامل فيها يأتي يوم القيامة معه لواء الشعر إلى النار".[٤] نستخلص الدلالة التالية من هذا الحكم:

١- أن الدولة الإسلامية أصبحت تهتم بالشعر انطلاقا من علاقته بالإسلام، ولذلك اعتبرته أداة داخلة في الصراع بين المسلمين والرافضين للدين.

٢- أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان على اطلاع بالشعر، ومن ضمنه شعر امرؤ القيس، والقيمة التي كان يمتلكها من ثم، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان بينة من مواطن الخطر في هذا الشعر وتعارضه مع القيم الإسلامية.

٣- إنه يتضمن مقدمتين ونتيجة. المقدمة الأولى: إنه رجل مذكور في الدنيا، المقدمة الثانية: إنه منسي في الآخرة، النتيجة: إنه سيحمل لواء الشعر في جهنم.

٤- أن هذا الحكم يستند إلى القيم الإسلامية الجديدة، وبالتالي فإن حكمه عليه ينبع من معارضته سواء في شعره أو في سلوكه. وعليه نقر أن هذا الحكم ليس حكما نقديا يقدر ما هو حكم ينظر إلى الشعر من خارجه، أي من إطار ديني.

٢- **موقف القبول**: حيث قبل الرسول صلى الله عليه وسلم الشعر الذي لا يتعارض مع الدعوة الإسلامية سواء عاش أصحابه في العصر الجاهلي أو عاشوا قسطا ما قبل الإسلام والقسط الآخر في ظل الدين الجديد، ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم حين سمع قول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل مغيم لا محالة زائل

قال: "إنها أصدق كلمة قالها شاعر".

وعندما سمع قول طرفة بن العبد:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

قال: "هذا من كلام النبوة".

كما قال عن عنترة بن شداد العبسي لما سمع قوله:

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل

ما وصف لي أعرابي، قد أحببت أن أراه إلا عنترة".

وجاء في العمدة لابن رشيق: "روي عن النبي أنه قال: إنما الشعر كلام مؤلف، فما وافق الحق منه، فهو حسن، وما لم يوافق الخير منه فلا خير فيه".

٣- موقف الصحابة: ولنأخذ كمثال موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،إذ كان هذا الأخير من أولع الناس بمجالسة الشعراء ومناقشتهم. وقد تميز بحس فني رفيع يستطيع أن يتذوق به القصائد ويصدر أحكامه عليها. وكثير من الآراء التي توصل إليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان لها وزن عند النقاد المختصين في العصور اللاحقة. وعنه قال الجاحظ: "كان عمر بن الخطاب رحمه الله أعلم الناس بالشعر". ومما أثر عنه في هذا المجال: روي أنه قال: "أنشدوني لأشعر شعرائكم. فقيل: من هو؟قال: زهير.قيل: وبم صار كذلك؟ قال: كان لا يعاضل بين القول ولا يتبع حوشي الكلام، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه"[٤]. فقوله "أنشدوني" يبين أن عمر بن الخطاب هو البادئ بالحديث، إذ طلب من الجماعة التي كانت تحيط به أن تنشده شعرا، ويبين كذلك أن ابن الخطاب كان مهتما بالشعر. "لأشعر شعرائكم" قول

فيه نوع من الاستفزاز إذ هناك شاعر وهنا أشعر الشعراء، واستفسروا عنه بقولهم:" من هو" مما يدل على أن هناك مجموعة من الشعراء يتصفون بهذا الوصف. قال: "زهير" فميز من الشعراء زهير وأعطاه وزنا كبيرا. لماذا؟ لأنه "لا يعاضل الكلام" أي كان واضحا لا يتبع في فهمه، ويتحاشى المعاضلة، أي لا يستعمل غريب وغامض الكلام الذي ينبوه السمع ويرفضه، من ثم فرأيه مؤسس على الجوانب التالية:

جانب تركيبي (المعاضلة)، ٢- جانب معجمي (الحوشي)، ٣- جانب معنوي مضموني (الصدق)، فتركيب شعر زهير حسب عمر بن الخطاب، ليس فيه تعقيد ولا تناقر، ومعجمه بسيط مستساغ ومتداول، ومضمون معاني شعره تتسم بالصدق. ولا شك أن إعجاب عمر بشعر زهير يرجع إلى كونه لا يتنافى مع عمق المبادئ الإسلامية.

[٥] - انظر: الطرابلسي، أمجد، **نظرية تاريخية في حركة التأليف عند العرب**، (بيروت: منشورات عيون البيضاء ط٥، ١٩٨٦).

[٦] - انظر: تكفرسات، بشرى، **النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين**، (المغرب، مراكش: المطبعة الوطنية، ط١، ٢٠٠٥).

[٧] - على سبيل المثال لا الحصر نجد: كتاب: الكيلاني، نجيب، **الإسلامية والمذاهب، و مدخل إلى الأدب الإسلامي**؛ وكتب خليل، عماد الدين، **في النقد الإسلامي المعاصر**، و**محاولات جديدة في النقد الإسلامي المعاصر**، **ونظرية الأدب الإسلامي**؛ وعروي، محمد إقبال، **جماليات الأدب الإسلامي**؛ والقرني، عوض بن محمد، **الحداثة في ميزان الإسلام**؛ وبريغش، محمد حسن، **في الأدب الإسلامي المعاصر**؛ وجرار، مأمون فريز، **الاتجاه الإسلامي في الشعر الحديث**؛ والنحوي، عدنان، **الأدب الإسلامي إنسانية وعالمية**.